*ما أحدثه السكاكي ودُعاة التغريب من جنوح إلى منطقة البلاغة*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ *أيمن محمد أبو بكر*

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في ما أحدثه السكاكي ودُعاة التغريب من جنوح إلى منطقة البلاغة**

**الكلمات المفتاحية : حقيقة ، الدرس البلاغي ، منطقة البلاغة**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن ما أحدثه السكاكي ودُعاة التغريب من جنوح إلى منطقة البلاغة**

1. **عنوان المقال**

**ويجرنا معرفة حقيقة ما جرى من معارك كلامية حول قضية النظم، وقضية اللفظ والمعنى، اللتين هما أساس البلاغة، وعمودها، وإليهما مردُّ المزية والتفاضل في الكلام، إلى القول بأن ما أحدثه السكاكي من جنوح إلى منطقة البلاغة، وما ابتدعه من إفساد في تذوقها، وما أضافه إليها من جديد؛ كان خروجًا عما ينبغي أن يكون عليه الدرس البلاغي.**

**ومما تجدر الإشارة بذكره، أن إفساد البلاغة العربية؛ لما استحدثه دُعاة التغريب، وأتباعهم من مؤامرة على الفصحى ومفرادتها، ومصطلحاتها، وقرآنها، وبلاغتها؛ هو أعظم فتكًا، وأشد إفسادًا، وأكبر إضرارًا، مما أحدثته بلاغة السكاكي، فهل لنا أن نعتبر، وأن نتعظ، وهل لنا من سبيل في الخروج من هذا المأزق، والسعي قدمًا لتشديد بلاغة عبد القاهر، المشوقة بنظير لها ينطلق بها إلى عالم الإمتاع والإحساس بالجمال، وبالتذوق الناقد لروائع الأداء الفني، المترجم -على حد قول بعضهم- عن الشعور بالحسن، شريطة أن يحفظ عليها غايتها، ولا يمس أسسها وأصولها.**

**نقول: ذلك لرد عادية الحداثيين ودعاة الأسلوبية، الذين تباروا ليجعلوا من الأبواب والمباحث التي أدرجها الإمام عبد القاهر؛ ذريعة لشنِّ حرب مستعرة على البلاغة العربية الأصيلة، ومادة ثرية للمطالبة بالتشديد الذي يرومونه، ويدور برءوسهم، وموضوعًا جديرًا بالاهتمام المبالغ فيه، وأصولًا تستأهل أن تغير معالم البلاغة لأجلها، بل وأن تستأصل شأفة الدراسات البلاغية القديمة من جذورها، على نحو ما فعل الدكتور/ أمين الخولي، حين ذكر: أن تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة هي: المعاني، والبيان، والبديع؛ لا طائل تحته، ولا جدوى منه.**

**وهو يرى أن الطائل والمجدي، أن نعمد رأسًا إلى تحقيق الغرض البعيد من البلاغة العربية -تشديدًا يمس الأصول والأسس، فيغيرها، وينفي فيها ويثبت- ونخالف مقرراتها، فيقول: "نخالف مقررات الكبرى، ونضيف إضافات جديدة؛ بأن نضم إلى البلاغة مقدمة فنية، نُعرِّف الدارس فيها بمعنى الفن، وطبيعته، ونشأته، وغايته، وأقسامه، متحرِّين في ذلك بيان الفن القولي، وأخرى نفسية، نعرِّف الدارس من خلالها بالقوى الإنسانية ذات الأثر في حياته الأدبية، وبالوجدان، والذوق، والخيال، ونزيد فهمه؛ للاعتبارات التي أجملها القدماء تحت كلمة مقتضى الحال".**

**وهذه الاعتبارات، لا شك أن البلغاء والبلاغيين قد لاحظوها جيدًا في وضع أسس وأصول علم البلاغة، أو علوم البلاغة الثلاثة، لكن دون أن يفرطوا، ويُخرجوا الدرس البلاغي، والبحث البلاغي، عن مساره إلى المجال النفسي أو الأدبي، والذي نودُّ التنبيه له هنا -كما أوردت ذلك أيضًا في كتابي: (موروثنا البلاغي)- هو التأكيد على أن ما سبق ذكره، من أمور تتعلق بمعايير الحكم على الكلام بالحسن والقبول، مما يعتلي تراكيب الجمل ومكوناتها من أحوال، يجب فيها مراعاة المقتضى، والخصائص التركيبية، وتذوق العبارة، وإحداث الأثر النفسي من خلالها؛ إنما يدخل في كل جملة اشتمل عليها نص أدبي، أو عمل فني؛ سواء اشتملت هذه الجملة، أو ذاك النص، أو العمل، على ضرب من ضروب البيان، أو لون من ألوان البديع، أو لم يشتملا؛ فهي إذًا أعم من أن تكون قاصرة على مسائل علم المعاني؛ لكونها أمورًا متغلغلة فيما تعلق من نصوص، أو جمل، في مباحث علم المعاني، على نحو ما هي متغلغلة كذلك في سائر فنون هذا العلم الجليل.**

**وإلا فكيف تسنَّى لشيخ البلاغة، الإمام عبد القاهر، أن يتحدث على حدِّ قول الدكتور/ شوقي ضيف، وبشهادته عن الأثر النفسي للاستعارة، وأنها تُحدث في السامع متعة، وتجلب له أنسًا.**

**ثم يأخذ في بيان أقسامها، فيقول: "إنها إما أن تجري في الأسماء، وإما أن تجري في الأفعال، وسمَّى البلاغيون بعده هذين القسمين على الترتيب باسم: الاستعارة الأصلية، والتبعية، إلى غير ذلك مما ذكره الأستاذ الدكتور/ شوقي ضيف، في كتابه: (البلاغة تطور وتاريخ)، وينظر في شأنه: (أسرار البلاغة)، مما دل فيه الإمام عبد القاهر، على تلاحم الصلة بين علم المعاني، وعلمي البلاغة الآخرين، ودل فيه كذلك على ربط البلاغة المتقدمة عامة بالخيال، وبعلوم النفس، والأخلاق، والجمال، التي يستعان بها في تأدية رسالتها، ويمكنها من بلوغ هدفها؛ وهو الشعور بالأريحية، وكسر عزلة البلاغة ووصلها بالحياة.**

**ويدل كذلك على أن الصورة الأدبية، لا تجتنى ثمارها في واقع الحال، ولا يُعرف وضعها في الكلام، ولا أثرها في النفس، إلا بتذوقها والوقوف على محاسنها، والإحساس بروعتها وجمالها، وهو عينه ما ينادي به أنصار الاتجاه النفسي وغيرهم من المجددين.**

**ويذكر تفاصيل ذلك، وتفاصيل ما نادى به الحداثيون، وتفاصيل الرد على ذلك، كتاب: (موروثنا البلاغي، والأسلوبية الحديثة دراسة وموازنة).**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**